

ملخص الدراسة

بحثت هذه الدراسة اشتغال حاسة السمع في الخطاب الديني، وأثر هذه الحاسة على إنتاج المعرفة، محاولة الكشف عن منطق الخلل في عدم تمكن العربي من إنتاج معرفة تؤهله لدخول باب التحديث الفكري، وما يترتب عليه من تداعيات.

وفي سبيل إنجاز هذه الدراسة، قام الباحث بتقسيم الدراسة إلى أربعة فصول، تناول الفصل الأول مخطط الدراسة : المقدمة، والإشكالية، والفرضية، ومصطلحات الدراسة، والمداخلة، والأهمية، ومراجعة الأدبيات، والمنهجية، والصعوبات، وحدود الدراسة. والمخطط يعكس هيكلية دالة في الدراسة.

وتناول الفصل الثاني حالة دراسية تمثلت في الكشف عن اشتغال حاسة السمع في سورة البقرة، فبحثت منطق الذوات الأولانية (الملائكة وآدم وإبليس)، ثم منطق المؤمنين والكافرين في علاقة كل من هذه الذوات بمفهوم السمع والسؤال. وخلص الفصل إلى مقولة مفادها أن الإيمان يقتضي الريبة من السؤال ومنطق التجربة.

وخصص الفصل الثالث لدراسة أثر السمع في طقوس الاقتراب من النص سواء بالتهيؤ أو بللقراءة والاستماع، وعلاقة هذه الطقوس بالاقتراب أو الاغتراب عن النص أو عن النفس، وبالتالي مسؤوليتها في إنتاج المعرفة أو تجاوزها لصالح الطقوس لا سيما الطقس الموسيقي.

وقد خُصص الفصل إلى أن طقوس الاقتراب من النص هي اشتغال بامتياز لفعل السمع، فطقس الاقتراب من النص يقود إلى الاغتراب عن النفس، ليصبح تطقيس النص تجاوزاً له، لكنه يصبُّ في مصلحته كسلطة تمتلك كل تقنيات الهيمنة.

وختمت الدراسة فصولها في دراسة أثر السمع في مفهوم "الأسلمة"، فبحثت بداية تغيير مفهوم الولاء -بناء على قوة المؤثرات السمعية- من "الجاهلية"¹ إلى الإسلام، وذلك بالاستناد إلى تغيير في دلالة ضمير المتكلمين الـ "تاء"، فـ "تاء" الجاهلي "القبيلة"، و"تاء" النص القرآني والسلوك الإيماني "العقيدة".

¹ - لا يستخدم الباحث تعبير "الجاهلية" كمصطلح يشير إلى قيمة أخلاقية، وإنما كمصطلح يشير إلى فترة زمنية، وهي الفترة التي سبقت الإسلام بمئة وخمسين عاماً إلى منتهي عام. انظر الجاحظ. *كتاب الحيوان*. ج1. تحقيق عبد السلام هارون. ط2. مصر: مكتبة الحلبي. 1965، ص 74.

ثم بحثت الدراسة غواية السمع في فكرة التأصيل لمفهوم "الأسلمة" من منطلقين: الأول في التجربة التاريخية التي أعقبت موت الرسول، والثاني في التجربة النصية القرآنية، وختمت الدراسة مباحثها في دراسة الجامع كتقنية سمعية. وخلص الفصل إلى أن بوابة الردة من "ناء" العقيدة إلى "ناء" القبيلة تمثلت في حادثة السقيفة، التي أعادت إنتاج مفهوم الولاء للجماعة على أسس تبدو فيها القبيلة أحد أبرز المعالم المنتجة، وخلصت الدراسة من جانب آخر إلى أن الدعوة للتأصيل لمفهوم "الأسلمة" لا نجد لها مكانا في النص لأن النص لا ينطق وإنما يستنطق، ولا تتسحب قداسة النص على الاستنطاق، وبالتالي لا يحق لأحد احتكار فهم النص. أما التأصيل في التجربة التاريخية فهو تأصيل في القبيلة وما تمخض عنها من حروب دموية تحديدا في فترة علي ومعاوية. وانتهى الفصل أيضا إلى أن الجامع إحدى أدوات "الأسلمة" الفاعلة في الدعوة، لما للجامع من أنظمة سلطوية سمعية تعلم الخضوع والولاء، وتسهم في إقصاء التدبر والبعد النقدي عند الأفراد. وخلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها أن اشتغال حاسة السمع في الخطاب الديني تبدو وكأنها المسؤولة عن تغييب البعد النقد عند العربي المسلم، الذي استغنى في تدينه الفطري بالاستماع عن التفكير، في مفارقة المقولات من أجل فقه واقعه، فلا بد من عملية تجاوز يحدثها النقد توهم العرب من دخول دائرة التحديث.